متعود صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة اي نزل تحريمها على لساني ولم يسبق من تحريمها بخلاف
مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما في حديث البخاري وغيره
وحديث البخاري وغيره ان ابرهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها الاعير جمعا
بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما انشا حرمته وانما
هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لكن
ازدادت حرمته ببركة حلوله به وبسببه فيه ففضل غيره ح فيفضل مكة وبيت
المقدس ليس لتقدم حرمتها قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله وشبه فيها
وبين حظي وخطه كورمت وري تجنيس شبه الاشتقاق ومن ادعا فيها البعض انها
ورمت كما في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية لهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها قام نبي الله صلى الله
عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع والفا للسببية
والتقدير اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون
التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخاري في هذا
الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه
صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم
بذلك فضلا عمن لم يامن استحقاق النار انتهى قال بعض المفسرين
قام صلى الله عليه وسلم طول ليلة على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان
يقف على اطراف اصابعه فانزل الله عليه طه اي طإ الارض بكل قدميك

واستمر

ورمت اذ رمي بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجاء

١٢٧

واستمر على ما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القران لتشقى اذ اي وقت
او لاجل انه رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريف
بسهم صائب من حيث ان قيام القدم في طاعة الله تعالى موجب زوال ظلمة الليل
ووحشته كما ان رمي السهم في طاعة الله تعالى يزيل سورة صولة عدوه وطاقته
فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكني
بها عنه في النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقي
للبا على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاؤها على حالها
ولما كان قيام الليل لذلك ينشا اما عن مزيد خوف او سعة رجا بين الناظم رحمه الله
تعالى ان قيامه الليل صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاد قوله
صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والتقلب بين يديه
فان خوفه ورجاه صلى الله عليه وسلم الذين وصل منهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان
لمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال الى الله خبر مقدم خوفه منه قال
صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخوفكم منه والرجا اي وسعة امله فيما
عنده لا لغرض اخر لان الله تعالى عصمه عن ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين
بل هو دايم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتملي بمعالي القرب الانفس
ووقع للشارح رحمه الله تعالى حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب
بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل ثم رايت القرطبي اشار لما ذكرته حيث
قال لمن ساله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة في العبادة
انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج
الى ذلك فافاد هو ان هنا طريقا اخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام
بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)